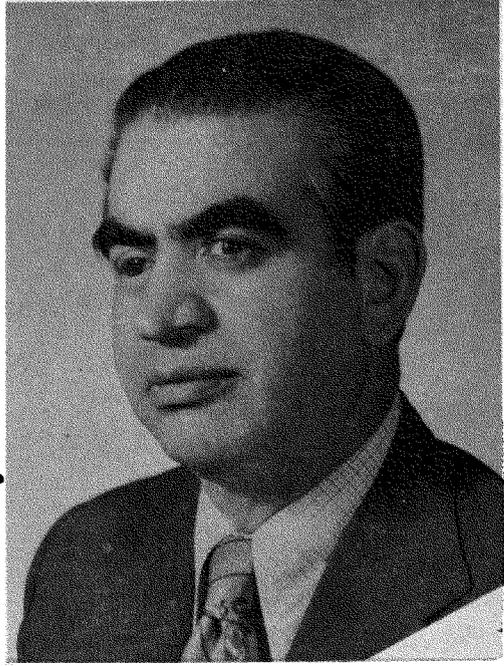


د. عبدالسلام العجيلي

نحن و الآداب

في ربيع قرن



المثابدين في النصف الثاني من القرن العشرين على آفاق هذا العصر الذي اصبح عصر ثورة في الفسـن والادب والفلسفة، مثلما كان العصر الذي سبقه عصر تطور في هذه وذاك وذلك .

وانكلم عن نفسي ككاتب من كتاب « الآداب » . لقد وجدت نفسي منساقا بعوامل متعددة الى ان اكون كذلك منذ الاعداد الاولى من مجلة الدكتور سهيل ادريس . كانت تجمعي برئيس تحرير المجلة الجديدة معرفة شخصية وميول اديبة متشابهة وفكرة قومية واحدة ، عدا المقاربة في العمر . ليس غريبا ان آجد في صفحات الآداب مجالا لنشر مقالتي النقدية والسياسية ، وقصصي بصورة خاصة . لقد كتبت في أكثر من عدد من الآداب « قصة الشهر » . وانا في الواقع لم اكتبها لتكون كذلك، ولكن الدكتور سهيل ادريس كان يجد قصصي التي اكتبها لمجلته جديرة بأن تحمل هذه الصفة ، ويوافق على ذلك النقد والقراء . وعلى اني لم اكن جديدا على ميدان القصة ، فان القصص التي كتبتها خصيصا للآداب اصبحت معالم بينة في مسيرتي الفنية ، وفي اذهان كثير من متبعي نتاجي الادبي بين القراء . « الشباك » ، « سالي » « بنادق في لواء الجليل » ، « كفن حمود » ، « النهر سلطان » ، وغيرها كثير ، قصص نشرت لها لي الآداب وحظي بعضها بالترجمة الى لغات اجنبية مختلفة ، كما اصبح بعضها مثالا للقصص القومي في كتب التدريس بعد ان اطلع عليها القراء وعرفوها منشورة على صفحات الآداب . والى اليوم لا تزال مجموعتي القصصية « قناديل اشبيلية »

اذن فقد مضى ربيع قرن على صدور اول عدد من مجلة الآداب !

هكذا انباني الدكتور سهيل ادريس في رسالته جاءتني تحمل خاتم بريد بيروت . اول رسالة تحمل الي هذا الخاتم بعد شهور الاسى الطويلة التي احترق فيها لبنان ، واحترقت قلوبنا عليه فيها .

ربيع قرن مضى من عمرنا ، ومضى من شبابتنا وحيويتنا وامانينا الزاهرة . وربما كان الاخرى ان اقول انه مضى بذلك الشباب وتلك الحيوية وهاتيك الاماتي . وفي ربيع القرن هذا كانت الآداب ميدانا حققنا فيه ، او بسطنا فيه ، بالحيوية التي امدنا بها شبابتنا ، امانينا الزاهرة كما صورتها او تخيلتها او خطتها مواهبنا الابدية وتطلعاتنا الفنية .

وحين اتحدث عنا ، بضمير المتكلم وصيغة الجمع ، فانا اعني بنا نحن كتاب الآداب في ربيع القرن الذي مضى وفي اعوامه الاولى بصورة خاصة . وربما انسحب هذا الضمير على جانب كبير من قراء الآداب الاوفياء انديين استمروا يقرأون مجلتهم لانهم يرون فيها ناطقا بامانيهم ومعبرا عن عقيدتهم . واذا كنت ذكرت الشباب ، فلست استثنى من بين كتاب الآداب من جاوزوا في العمر سنني « الفتوة » . فقد كانت الكتابة في الآداب ، منذ ظهورها ، تعني فتوة النفس والفكر . فما كان يغيب عن الذهن بأن هذه المجلة الجديدة التي رأس تحريرها شاب سلفي الثقافة في اصوله جاءت لتعبر عن الجديد وعن انفتي في الثقافة ، وعن الطليعة المتقدمة في الأدب ، وجاءت لتفتح اذهان

التي اصدرتها لي دار النشر المنبثقة عن هذه المجلة في اوائل مطبوعاتها ، لا تزال آثر مجموعاتي القصصية على نفسي واشملها دلالة على اتجاهاتي الفنية والاجتماعية والسياسية . لهذا فليس من السهل لي ، ولا لكثير من ادباء العربية المعاصرين ممن تقرب علاقتهم بالآداب من علاقتي الشخصية بها ، ان افضل شخصيتي الادبية عن هذه المجلة التي تفاعلت معها خلال حقبة من الزمن تعد من احفل الفترات المعاصرة في تاريخ امتنا الفكري، وفي تاريخ امتنا من كل الجوانب .

واقول ادباء العربية المعاصرين لاني لا اريد ان اغفل قيمة مجلة الآداب كملتقى لاقلام الكتاب العرب على اختلاف اقطارهم ، ودورها في تعريف بعضهم ببعض . ولقد واكبت « الآداب » حركة الازدهار النشرية التي جعلت من بيروت مركز اشعاع وهاج للثقافة المطبوعة في الكتب والدوريات بل انها كانت ، بصورة مباشرة عن طريق دار الآداب للنشر ، وبصورة غير مباشرة بتأثيرها كمجلة واسعة الانتشار ، كانت احدى القوى الدافعة في حركة الازدهار تلك . وكانت بهذا تلعب الدور الذي كان يريده العرب للبنان نفسه ، من كل النواحي : مجلة عربية بالصورة القومية المثالية تصدر في لبنان الذي يمثل نشاط العرب وحيويتهم وتحركهم الفعال .

كل هذه خواطر جالت في بالي حين تنبعت الى ان خمسة وعشرين عاماً قد مرت منذ ظهر العدد الاول من مجلة الآداب . ومرت في بالي خواطر أخرى اجملتها في قولي ان ربع القرن هذا ، كما مضى بشطر من عمرنا وبشبابنا ، مضى بأمانينا الزاهرة . فأين نحن اليوم مما كنا عليه ، ومما كنا نؤمله ، قبل خمسة وعشرين عاماً؟ هل اختصر ام افضل ؟ بحسبي ان اصف ما وقعت عليه عيني منذ اسابيع قليلة ، حين عدت الى بيروت في فترة هدوء عابرة ، فمررت فيها باحياء ما كان اكبر الفتى بها: حي الخندق العميق ، وحي على السور بجانب العازارية، حيث كانت تحرر الآداب في اعدادها الاولى وحيث استقرت ادارتها في السنين الاخيرة . . لقد رايت الخراب والدمار وآثار النيران في الامكنة التي كانت مبعث الاشعاع الفكري والفني . كان ما رايت اطلال ابنية واطلال آمال واطلال القيم والمثل العليا .

... ولكن هذه هي رسالة ائدكتور سهيل ادريس في يدي تنبئني ان من بين كل هذه الاطلال ترفع « الآداب » رأسها لتقول لنا ان ارادة الحياة فيها لا تزال قوية، وانها ستصدر في عدد ممتاز في ذكرى انقضاء ربع قرن على وجودها . فهل لنا ان نعدّها بشارة وقال خير ؟ أمل ذلك . وتحيتي الى الآداب التي ترفع رأسها من بين الانقاض متوتبة ، في عيدها الخامس والعشرين !

حضرت مولد الآداب .

وكنت اتابع نموها ويفاعتها ، مزودا بثقتي فني رائدها سهيل ادريس ، على غير معرفة شخصية ، ولكنني اخذت بحماسة وهو ينشئ مجلة شهرية للآداب في بداية عهد بيروت بانطلاقة جريئة لحركة النشر والتوزيع .

وقرات لسهيل بعض ما كتب وترجم في الآداب وبعض ما كتب ونشر من قصص ومجموعات ، فآمنت بأن الآداب ستنجح لان الذي يشرف عليها ليس ناشرا ، ولكنه اديب كاتب قبل ان يكون ناشرا .

تبعته الآداب بعد ذلك واعترف بانني لم اكن ملتزما معها التزامي مع « رسالة » الزيات مثلا . فقد كان عهد الطلب يفريني بقراءة « الرسالة » من افتتاحيتها حتى يريدها الادبي، ولكن عهد العمل لم يكن يسمح لي بقراءة الآداب قراءتي للرسالة . غير ان عددا منها لم يكن يمتنع علي فكنت آخير من كتابها القدامى والجدد ، وكانت سيرتها تؤكد فكري عنها: التصميم . العزم . الحماس . التطلع . الجدة . .

في مقدمة ما لفت نظري حماس المحلة الى الجديد في القصة والشعر والبحث . فهي مجلة الطليعة المتجددة من الكتاب ، لم تعتمد على النخبة المعروفة في لبنان او سوريا ، ولكنها حاولت استقطاب الكتاب الجدد في الوطن العربي . ويخيل الي ان الاسم الجديد كان يفري التحرير اكثر مما يفريه المضمون . ولذلك تلاحق الكتاب الجدد الذين واصلوا نضالهم مع الآداب حتى اصبحوا في الطليعة من كتاب القصة والقصيدة والمقالة .

وحاولت الآداب ان تكون لوطن العربي جميعه فكانت تنشر للادباء من الخليج الى المحيط . وبذلك كانت للكتاب العرب او حاولت ان تكون . ولا اكنم ان الذين كتبوا فيها